-الدولة الحفصية:

ا/ التاريخ السياسي

استقل بنو حفص عن كيان الموحدين في عهد ابي زكريا يحي الحفصي الذي يمكن اعتباره المؤسس الحقيقي للدولة الحفصية في تونس ، والذي استفرد بإمارة بني حفص حسب قول ابن الشماع " هو أول بني حفص بالاستفراد بالإمارة "، كانت سياسة الأمير أبو زكريا الحفصي بداية طيبة لتحقيق ذلك الاستقرار، فعمل هذا الأخير على إخضاع كامل أنحاء افريقية تحت سلطته في وقت قصير إلى ما كانت عليه في عهد الدولة الصنهاجية، الأمر الذي مكنه من تأسيس المملكة الحفصية من منطقة القبائل الكبرى إلى منطقة سرت الكبرى، التي سيكتب لها الدوام مدة ثلاثة قرون بتعاقب -حوالي واحد وعشرون سلطانا- بين قوي وضعيف على حكمه،افحسب ابن قنفد حكم بعد ابو زكريا "الاولاد الذكور الاربعة ابا عبد الله المستنصر الوالي بعده وابا اسحاق المجاهد الوالي بعد الواثق بن المستنصر وابا يحي ابا بكر ، وابا حفص عمر وكلهم ولي الا ابا بكر، ثم استقرت الامامة في عقب ولده المجاهد ابي اسحاق، وانصرفت عن سائر عقبه.

اتسمت سياسة السلطان المؤسس للدولة الحفصية أبو زكريا الحفصي(626-647هـ /1229-1249م) بالصلاح والاستقرار وتعد فترة حكمه أبهى وأعظم الفترات في حكم الدولة الحفصية، دعائم الدولة بمختلف ركائزها، وهياكلها ساعيا إلى تحسين ظروف و أحوال رعيته، توفي سنة 646هـ ببجاية.

وإمعانا في الاهتمام بشؤون الرعية والبلاد الحفصية واصل ولي العهد السلطان محمد المستنصر بالله ابن أبي زكريا يحي الحفصي (647-675هـ/1249-1276م) على نفس الدرب الذي سار عليه والده في تحقيق الأمن والسلام، وذلك بالتصدي للحملات الخارجية التي كانت تهدد كيان الدولة بين الحين والآخر

تمكن من إفشال حملة لويس التاسع الصليبية على تونس في (668هـ/1270م) بفضل تمرسه ومعرفته لشؤون الحكم وخباياه وقدرته على بعد النظر للأمور السياسية، واهم ما ميز فترة ولايته هو مبايعة الناس له بالبيعة العامة. فعهده كان يمثل أقصى الاتساع في النفوذ و

الإشعاع. فمن أعظم ما أحدثه، إقامته البستان الطائر المعروف بابي الفهر الذي يشتمل على جنات معروشات التي طار لها ذكر في الآفاق، كما اهتم بالجانب العمراني فأكثر بناء المنشآت الدينية.

ولعل جهود السلطان الواثق يحي بن المستنصر(675هـ-1277م) كان لها بالغ الأثر داخل المجتمع الحفصي فقد اهتم بنظيمة العدل وعمل على تطبيقها، و إفاضة العطاء على المحتاجين والفقراء.

ويبدوا أن فترة إمارة الأمير أبي حفص عمر (683هـ/1285م) ، تميزت هي الأخرى برسوخ العدل، وانتشار الأمن و الهناء، فصرف عنايته للاهتمام بشريحة الفقهاء و الصلحاء والوجهاء فكان يبرهم ويبادر إلى قضاء حوائجهم. وكان الأمير أبي زكريا يحي ابن إسحاق(684هـ-1286) أميرا على بجاية له اهتمام كبير بالعلم وأهله فقد قيل فيه "اشتغل أولاد الأمير أبي إسحاق بالملك والدنيا، واشتغل منهم الأمير أبو زكريا، بابتناء المدارس، واقتناء الكتب وجمعها، وضم أنواع العلوم لها حتى الوعظ،...و بنى مسجدا بها، ورتب لها المساكن للطلبة، وأوقف عليها حبسا،...فلما ملك ولده أبو البقاء أكمل غرض أبيه في ذلك".

وبالمثل تعاظمت فترة الأمير أبو عبد الله محمد المعروف بابي عصيدة (694هـ-1296م) ، باستقامة الأحوال والاهتمام بشؤون الرعية من خلال دفع المضرة عنهم والإحسان والكرم إليهم، فكانت أيامه أيام هدنة وسلم لا حرب، الأمر الذي مكنه إلى الانصراف والعناية بالجانب الزراعي والعمراني على حد تعبير ابن الشماع " فغرست الغراسات وشيدت الأبراج"، وما يعزز التخريج أكثر شهادة ابن قنفد في قوله"ورتب الدولة أتم ترتيب.

وغير خفي أن المولى أبو يحي أبو بكر(718هـ-1318م) استطاع أن يستقطب جموع العامة والخاصة حوله ،من خلال انتهاج سياسة اللين والحسنى التي تميز بها معهم، فحسب ما وصفه ابن الشماع في احد النصوص" كان حليما ورحيما بهم،... وكان لا يولي قاضيا حتى يشهد فيه بالخير من يثق بدينه ،وكان لا يكافئ من فعل معه سوء إلا بالخير، ومما زاد تشبث الرعية به و الإهلال به انه كان كثير الصدقة عليهم"وتصدق بمال جزيل " وفي عهده عرفت تونس نهضة اقتصادية لا مثيل لها رغم الثورات الداخلية التي كانت لا تنطفئ واحدة إلا وتشتعل أخرى،

والجدير بالذكر انه خلال هذه الفترة (من بعد خلافة أبو يحي أبو بكر إلى غاية خلافة أبو البقاء خالد بن أبي إسحاق إبراهيم) ظل التوتر السياسي وكثرة الدسائس والفتن الداخلية قائمة متمثلة في حركات تمرد وعصيان قامت بها الفئات الشعبية أو العامة من المجتمع، إضافة إلى الصراع الأسري الحفصي حول السلطة، الأمر الذي أدى إلى انشغالهم وتسخير قواهم المادية والبشرية لتهدئة الأوضاع السياسية وإخماد الفتن الحربية فيما بينهم، متناسين الاهتمام بشؤون الرعية اجتماعيا واقتصاديا وعلميا .

وخلال هذه الفترة بالذات والتي تزامنت بحركة السلطان أبو الحسن المريني إلى تونس سنة (747هـ/1249م)عكف هذا الأخير على جمع كلمة المسلمين وتوحيد صفوفهم لمواجهة المد النصراني، كما حاول نشر التعليم وتعميمه في مراكز افريقية ،بواسطة العدد الكبير من كبار العلماء والفقهاء(حوالي 400عالم) الذين ساروا معه في هذه الحركة ،كما كان يربوا من هذه الحركة إلى محاولة تطويع البدو في افريقية بسلوك سياسة تجعل منهم عنصرا مندمجا في الجماعة ،لا عنصرا يسلك سلوك الفوضى والتخريب،كما عمل على رفع العديد من المغارم والضرائب بها.

ولعل سياسة الأمير أبي العباس احمد بن أبي بكر (772-796هـ/1375/1398م) جاءت بالنفع على البلاد والعباد، فقد استطاع ترتيب أمور الأقاليم، وإيقاف الفوضى والقضاء على الفساد الذي أشاعه الأعراب في البلاد، وحسبنا في ذلك كلام ابن الشماع"ثم شغبت العرب عن السلطان لأنه مسك أعنتهم عن التغلب، والاستبداد، وانتزع ما بأيديهم من الأمصار" ، فتمكن السلطان من توحيد الدولة الحفصية بعد أن كانت مقسمة إلى قسمين بجاية وتونس.

اما السلطان أبو فارس عبد العزيز (797-838هـ/1394-1434م) الذي قام بالأمر أتم قيام ، ومما يعزز الطرح أكثر و يعظم فضائل هذا السلطان على رعيته شهادة الزركشي في قوله"فاستقامت الأمور بتونس في أيامه كلها أحسن استقامة

غير ان كل الجهود التي بذلوها الحكام الحفصيين للوصول الى قمة الازدهار لم تدم فبعد وفاة ابي عمرو وعثمان بن ابي العباس ، تمزقت وحدة الدولة تحت ضربات الغزو الاسباني انتقاما من الاتراك الذين كانوا قد اتخذوا السواحل التونسية ثغورا وهكذا كانت نهاية الحفصيين.

ب/التاريخ الحضاري :

عرفت الدولة الحفصية حضارة مزدهرة من ناحية الاقتصاد والمجال الثقافي والعلمي بفضل جهود سلاطينها فقد تمكنوا الحفصيين من السيطرة على الطرق الصحراوية لتجارة الذهب وإبرام معاهدات تجارية مع جنوة وصقلية وايطاليا ، فازدهر بذلك قطاع التجارة مما انعكس ذلك ايجابيا على الناحية الاجتماعية للسكان، ومما شجع أيضا الأندلسيون على الهجرة إلى تونس والإسهام في الحياة الاقتصادية والعلمية معا، ولتسهيل عملية البيع والشراء بين أفراد مملكته قاموا بإنشاء أسواقا لائقة حول جامع المدينة منها سوق العطارين ، وقد كان نجاحهم –أكثر – في التشجيع على طلب العلم وإقامة معالمه فقد انشؤا أقدم مدرسة عمومية وفقا للنماذج المشرقية بافريقية وكانت في متناول رغبات سواد الشعب.

ولعل فيما أوردناه أعلاه عن جهود السلاطين يبين و يؤكد مدى حرصهم وسعيهم في ضمان السلم و الأمن للبلاد والرخاء الاقتصادي للرعية. فقد انتعشت الزراعة والصناعة التقليدية بقوة وانجر عن ذلك ازدهار التجارة، وخير دليل على ذلك توطيد العلاقات التجارية الخارجية مع النصارى.

وكان لسياسة الأمير أبي العباس احمد بن أبي بكر (772–796هـ/1375/1398م) كان لها دور كبير في ازدهار الاقتصاد الحفصي من خلال إبرامه العديد من المعاهدات التجارية مع دول اروبا،كما وجه السلطان عنايته واهتمامه بالأسطول البحري وحرص على زرع الأمن بالبلاد والطرق حسب قول ابن قنفد" وأصلح ما هدم واسكن ما تزلزل".

وفضلا عن ذلك فقد أشادت مصادر الفترة بشيم هذا السلطان وفضائله على رعيته فعلى سبيل المثال قول ابن الشماع "ومن فضائله وبره برعيته انه كان يقيم القراءة بالأسبوع بالمقصورة غربي جامع الزيتونة في كل يوم "ولم تستثني مصادر الوقت ما قام به الأمير لصالح رعيته"رفع الضرر والتضييق على أهل قرطاجة وقت خروجه،كما سُرَ به أهل قسنطينة من خلال إصلاحه ما فسد من الأمور بها وإخراجهم من الضرر الذي كانوا فيه،ومن مناقبه زيارته لشيخ المشائخ أبا مدين ووعده لله سبحانه وتعالى هناك أمامه أن لا يكافئ من عمل معه سوءا إلا بالخير

قام السلطان أبو فارس عبد العزيز بالتفاتة طيبة في المجال العلمي بتشيده الكثير من المرافق ذات الطابع العمراني المدني والديني التعليمي، وذاع صيته في العالم الإسلامي، بفضل التبرعات التي كان يقدمها إلى المؤسسات الدينية في جميع المدن الإسلامية بما في ذلك القاهرة والحرمين الشريفين.

برز دور الخليفة أبو فارس عبد العزيز(779هـ1394م) في رفع المظالم عن الخلق...وإزالة المنكرات "، واحدث الكثير من الإجراءات ذات الصبغة الدينية والاقتصادية مثل إلغاء كثير من الاداءات غير الشرعية الموظفة على التجارة والصناعة، وتركه العديد من المجابى لوجه الله سبحانه فمنها مجبى سوق الدهانة وكان قدره ثلاثة ألاف دينار ذهبا في كل عام إذ كان كل من اشترى شيئا من أنواع الأمتعة واللباس يغرم نصف عشر الدينار

كما احدثوا الكثير من الإجراءات ذات الصبغة الدينية كإنشاء مؤسسات المرستان للضعفاء والغرباء وذوي العاهات من المسلمين، إضافة إلى انجازهم لأحدث الأشغال المائية.

المحاضرة الحادي عشرة

-الدولة الزيانية:

ا/التاريخ السياسي :

ظهرت بالمغرب الأوسط دولة بني عبد الواد،ويرجع أصلها إلى البربر،إلى قبيلة زناتة كما جاء في قول ابن خلدون " فمن ولد زناتة هم بني عبد الواد"، ويعود أصل تسميتهم إلى جدهم عابد الواد، وهم من ولد سجيح ابن واسين بن يصلتين بن مسري بن زكيا بن ورسيج بن مادغيس الأبتر بن بر بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان،وكانوا عدة بطون منها ياتكين وبنو وللو وبنو ورصطف ومصموجة وبنو تومرت وبنو القاسم و إلى القاسم هذا ينتسب بنو عبد الواد وهم بنو مطاع و بنو دلول وبنو مظهر وبنو وعزان وبنو معطى وبنو حجي.

أقرت كثيرا من المصادر بنسبهم إلى القاسم، لكنها اختلفت حول نسب القاسم إذ نجد يحي ابن خلدون يرفع نسبه إلى آل البيت،وأنه من ولد إدريس بن عبد الله ابن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه، في حين نجد أن ابن خلدون عبد الرحمن لا يقر بذلك،ويقول بأن بني القاسم زعموا ذلك،وأن نسل القاسم يعود إلى السليمانيين، وذلك أنه لما خلص أمر المغرب الأقصى لإدريس الأكبر بن عبد الله بن الحسن، فدخل إلى المغرب الأوسط أين ملّكه أميرها محمد بن خزر بن صولات تلمسان، ثم جاء بعده أخوه سليمان بن عبد الله من المشرق، فحكم مدينة تلمسان ثم خلفه إدريس الأصغر وعقد عليها من بعده لبني محمد بن عمه سليمان، وبعد وفاة إدريس الأصغر اقتسم بنوه أعمال وملك المغربين بأمر من أمهم كنزة.

وفي هذه الفترة كان عيسى بن إدريس بن محمد بن سليمان يحكم تلمسان أما نواحيها فكان يحكمها محمد بن سليمان،ودامت فترة بيعة عيسى بن إدريس سبع سنين وأحد عشر شهرا، ولما ظهرت بوادر تصدع الملك الإدريسي واندثار زمن دولتهم من المغرب، تولى الشيعة الفاطميين أمر ملكهم، فعين موسى بن أبي العافية المكناسي على تازا وتلمسان وما والاها، واستطاع هذا الأخير التغلب على الحسن بن أبي العيش بن سليمان، ففر عنها ودخل قبيلة بني عبد الواد الذين كانوا يسكنون بالصحراء جنوب تلمسان، فأصهر فيهم وأعقب فيهم عقبا مباركا،وإليه ينتسب بنو زيان أو بنو عبد الواد،وقد فند هذه الرواية كل من ابن خلدون و البكري.

و قبيلة بني عبد الواد أحد بطون قبيلة زناتة مثل بني مرين، وبنو راشد وتوجين وكان بنو عبد الواد عبارة عن قبائل رحل يجوبون صحراء المغرب الأوسط مابين ميزاب إلى وادي ملوية،وفجيج ثم إلى سجلماسة ومنها إلى أرض الزاب أي يحدها غربا نهر ملوية وشرقا مدينة قسنطينة ، فعمل بنو عبد الواد على توطيد سلطانهم وكسب ثقة أهل المنطقة،ثم لبثوا أن أصبحوا سادة البلاد وحماتها وكانوا في كل صيف يتركون الصحراء ويستقرون في أراضي المراعي جنوبي وهران،ويضعون أنفسهم في خدمة الموحدين بتلمسان كلما احتاجوا إليهم في حماية تلك الأراضي من أعداء الموحدين.

كان من أعظم الخدمات الجليلة التي قدمها بنو عبد الواد للموحدين تدخلهم لمنع سقوط تلمسان في أيدي بني غانيةالموالين لدولة المرابطين، ولأجل ذلك كافئهم الموحدون بإقطاعهم

أراض واسعة في الغرب الجزائري،وفي سنة 62هـ/1229م عقد لهم الخليفة أبو العلاء إدريس المأمون على ولاية تلمسان، وأوكل ولايتها لجابر بن يوسف ليدير شؤونها

كان لانهزام دولة الموحدين في معركة حصن العقاب بالأندلس ضد النصارى 609هـ/1212م وقعا كبيرا في نفوس المسلمين، هذه الوقعة التي حدت من نفوذ الموحدين في سائر أنحاء الغرب الإسلامي،وأدت إلى انكماش رقعة الإسلام أمام حروب الاسترداد النصرانية،ونتيجة لذلك أخذت المدن الأندلسية تتساقط الواحدة تلوى الأخرى في أيدي الإسبان النصارى وعمت الفوضى في مختلف أنحاء البلاد، وما زاد الوضع تدهورا هجوم بني غانية سنة 623هـ/1225م على بلاد المغرب الأوسط ،وما انجر عن تلك الثورة من أعمال تخريب ونهب، كل ذلك شجع بني عبد الواد على بسط نفوذهم على المناطق المجاورة لتلمسان.

كان لتأزم الأوضاع السياسية داخل الدولة الموحدية وتنافس أمراء الموحدين على الحكم،أثر بالغ في تفشي الفتن والفرقة داخل البيت الموحدي،فازدادت الأوضاع تأزما في تلمسان ما أدى ببني عبد الواد إلى التطاول وبسط نفوذهم على أحواز تلمسان، فعقدوا البيعة لجابر بن يوسف بن محمد وهو إبن عم زيان والد يغمراسن بن زيان بن ثابت، وكان ذلك على عهد أبي سعيد عثمان أخو المأمون إدريس الذي استخدم الحيلة في اعتقال جماعة من مشايخ بني عبد الواد في محاولة منه للقضاء على نفوذهم الذي ازداد في المنطقة،ثم بعد مدة سعى للشفاعة فيهم إبراهيم بن إسماعيل الصنهاجي اللمتوني أحد اللمتونين الذين أبقي عليهم في الجيش الموحدي بإخراجهم من السجن بعد أن ردت شفاعتهم من قبل الوالي، فثار عليه واعتقله مكانهم،وأطلق سراحهم ،واستولى على زمام الحكم،ثم قام باستدعاء شيوخ بني عبد الواد لحضور وليمة عنده فلبوا طلبه لكنهم لم يثقوا به،فلما اقتربوا من المدينة علموا ما كان ينوي القيام به تجاههم فتوقفوا عن المسير إليه.

فخرج هو وثمانية من رفاقه إليهم فقبض عليهم، واستطاع جابر بن يوسف سنة627هـ/1229مدخول تلمسان بدعوة من إدريس المأمون الموحدي فبايعتهم نواحي تلمسان،ودان للخليفة الموحدي بالخطبة وضرب السكة باسمه.

استولى جابر بن يوسف على أحواز تلمسان ودعا من جديد للموحدين،وقام بحركة لضم كل بطون بني عبد الواد تحت سلطته ماعدا ندرومة التي زحف إلى حصارها، فقتله هناك

يوسف الغفائري التلمساني بسهم،وكان ذلك في عام 629هـ/1232م،ليخلفه ابنه الحسن الذي دام حكمه ستة أشهر،ثم تنازل لعمه عثمان الذي أساء السيرة فعزل ونفي خارج ديار تلمسان سنة631هـ/1233م،فبايع بنو عبد الواد أبو عزة زيدان بن زيان،الذي دخل في معارك وحروب كبيرة مع القبائل المعادية له كبني مظهر المتحالفين مع بني راشد ضده؛ فواجههم حتى قتل خارج تلمسان سنة633هـ/1236م.

وبموته انقطعت دعوة الموحدين بتلمسان، ليخلفه أخوه أبو يحي يغمراسن بن زيان الذي أعلن استقلال إمارة بني عبد الواد بتلمسان، ويعتبر المؤسس الحقيقي للدولة الزيانية، التي نظّم شؤونها الإدارية بتعيين الوزراء والحجاب، وضبط أمورها السياسية والخارجية

لما توفي يغمراسن خلفه ابمه أبو سعيد عثمان الذي تميزت فترته بالحروب الطويلة مع بني مرين ، اذ استعصى على الامير يوسف بن يعقوب دخول تلمسان فابتنى بجانبها مدينة المنصورة ليخنق بها تلمسان واهلها الذي حاصرهم لمدة طويلة تزيد عن 9 سنوات هلك فيها الالاف وفي ستة 703هـ توفي ابوسعيد عثمان تاركا وراءه حصار كبيرا لولي العهد ابي زيان بن عثمان والذي كان سلطان شهما صمد في وجه المرنيين الى غاية 707هـ ، اين اتحد مع اخيه ابي حمو في بناء الجيش والدولة واصلاح ما افسدته الحروب ،لكن المرض عجل بوفاة السلطان ابي زيان سنة707هـ/1307م تاركا الحكم لابي حمو موسى.

ثم يبدا عهد أبي حمو موسى الأول (707هـ/ 1308م)الذي سعى بدوره الى بعث الدولة من جديد فقد كان يتميز بالصرامة والحزم ، مفرط الحدة ، اعاد للدولة الزيانية مجدها وعزها واستقلالها بعد الهيمنة المرينية عليها، فعمل على مهادنة بني مرين ثم واصل ابنه أبو تاشفين (718-737هـ/1318-1337م) ، وحاول السيطرة على الاقاليم الشرقية والمضي نحوبجاية وعاصمة بني حفص ووصل حتى تونس.

اما خلال عهد أبي حمو موسى الثاني 751هـ/770/1350-1378، اقتحم تلمسان واخرج منها ابن السلطان ابي عنان الذي كان اميرا عليها في فترة الحصار، خلفا لابيه ، وهكذا حرر ابوحمو الثاني بلاده من السيطرة المريتية التي دامت سنوات ن ثم اخذ ببسط نفوذه على تراب المغرب الاوسط بالترغيب حينا وبالترهيب حينا ، اتسم عهده بالنشاط العسكري المكثف ، كما اتسم بالتشيد والبناء ومحاربو المناوئين

كما واصل أبو زيان بن أبي حمو الثاني (796هـ-1374م) ففي عهده عاد الكيان الزياني للمغرب الاوسط تحت النفوذ المريني، زالظاهر ان ابا زيان لم يهنا بمنصبه لان ابا الحجاج كان له بالمرصاد، لكن حنكته السياسية ودهائه الكبير مكنته من التصدي للمعارضة وتغلب عليهم، فخلا الجو له وسكنت احوال تلمسان واستتب الامر له ، فاعاد الهدوء والاستقرار للمغرب الاوسط، وتولى بعده السلطان أبو مالك عبد الواحد 814هـ /1411م ، ثم أبو العباس أحمد العاقل(834هـ- 1430م) بعده دخلت الدولة في مرحلة الضعف الى ان سقطت في ايدي الاسبان.

ب/التاريخ الحضاري:

لقد ورثت تلمسان منذ نشأتها ميراثا علميا زاخرا جعلها تتبوأ منصة العواصم العلمية وتنافس قريناتها كفاس ودمشق وبغداد، ويكفي دليلا على صدق ما نقول ما احتوته كتب التراجم والتاريخ مثل كتاب نيل الابتهاج وبغية الرواد ونظم الدروالعقيان من سير لأعلام تلمسان.

كان لمدينة تلمسان أدوار هامة في تاريخ المغرب الأوسط، ونستشف ذلك في قول البكري:"ولم تزل تلمسان داراً للعلماء والمحدثين وحملة الرأي على مذهب مالك بن أنس رحمه الله ويؤكد ذلك أيضا صاحب كتاب الاستبصار حيث يقول"ومدينة تلمسان مدينة علم وخير، ولم تزل دار العلماء والمحدثين" ويدل هذا على ازدهار الحياة العلمية بتلمسان قبل وبعد استيلاء بني عبد الواد على الحكم، فقد حفظت لنا المصادر والآثار مثلا أخبار تلمسان على العهد الموحدي وعناية الخليفة عبد المؤمن و خلفائه بهذه المدينة التي جعل منها ثاني خلفاء الموحدين مركزا هاما لنشر دعوته بالمغرب الأوسط، وكذا أخبار كثير من رجال الدين والعلم الذين برزوا في البلاط المرابطي والموحدي بتلمسان أمثال ابن أبي عرجون التلمساني في العهد المرابطي، وأبوعبد الله بن مروان في العهد الموحدي وكثيرمنهم العلماء الذين تخرجوا من تلمسان.

بلغت تلمسان أوج ازدهارها في العهد الزياني، وذلك بفضل اهتمام ورعاية ملوكها للعلم والعلماء ، ويؤكد ذلك ابن خلدون حين يقول:" نزلها آل زيان واتخذوها دارا لملكهم وكرسيا لسلطانهم، فاختطوا بها القصور المؤقتة والمنازل الحافلة واغترسوا الرياض والبساتين، وأجروا خلالها المياه، فأصبحت أعظم أمصار المغرب، ورحل إليها الناس من

القاصية، ونفقت بها أسواق العلوم والضائع، فنشأ بها العلماء واشتهر فيها الأعلام وضاهت أمصار الدول الإسلامية والقواعد الخلافية.

كما ابتنى سلاطين بني زيان المدارس والمساجد، وخصصوا للطلبة الأرزاق والجرايات وأنشؤا المكتبات وغيرها من المؤسسات التعليمية، وعمدوا إلى جلب كبار العلماء لهذه المدارس، وعملوا على تقريب العلماء من مجالسهم .

اهتمم ملوك الدولة الزيانية بالجانب الثقافي اهتماما كبيرا،فشجعوا العلماء والأدباء والشعراء ،وقربوهم إليهم وأكرموهم غاية الإكرام،كما رحبوا بالعلماء الوافدين عليهم، وأنزلوهم المنازل اللائقة ومنحوا لهم الهبات والعطايا.

كان للمنافسة الشديدة بين ملوك الدولة الزيانية من جهة وملوك الدولة الحفصية والمرينية من جهة أخرى في تقريب العلماء والأدباء من مجالسهم عاملا ساعد على تنامي تيار العلم والأدب،وذلك بإقامة المؤسسات التعليمية واستدعاء مدرسين أكفاء لها في مختلف العلوم،كل هذا أدى إلى إثراء وازدهار الحركة الفكرية والعلمية في بلاط الدولة الزيانية بالمغرب الأوسط.

كان لعبقرية يغمراسن مؤسس الدولة الزيانية أثر بارز في ازدهار الجانب العلمي إذ كان محبا للعلم وأهله،ومن مناقبه أنه كان يجالس الصلحاء ويكثر من زيارتهم وما يؤكد صحة ذلك أنه ارتحل لزيارة الولي أبي البيان واضح بجبل أفرشان،وكان هدفه التقرب منه إلتماسا لبركته والدعاء له،ومن الذين وجدوا الرعاية في عهده العالم أبو إسحاق إبراهيم بن يخلف التنسي، هذا العالم الذي ذاع صيته في مسائل الفتوى الأمر الذي أكسبه شهرة،وجعل السلطان يغمراسن يكاتبه ويرغبه في الإقامة بتلمسان فأبى في البداية ثم تراجع لظروف حلت ببلده مغراواة، فاستوطن تلمسان ودرّس بها،وأقطعه يغمراسن بعض الأراضي،وأغدق عليه الخيرات حتى توفي سنة 680هـ/1281م.

ومن الصلحاء الذين نالوا شهرة ورفعة لدى يغمراسن العالم أبو عبد الله ابن مرزوق.

كان ملوك بني عبد الواد عموما مشجعين للعلم وأهله فنجد السلطان أبو سعيد عثمان بن يغمراسن سار على نهج أبيه في الرفع من شأن العلماء، فقد احتفظ عثمان بالكتّاب الذين كانوا في بلاط أبيه مثل ابن خميس أبي عبد الله.

أمّا خلال عهد أبي حمو موسى الأول (707هـ/ 1308م)الذي سعى بدوره إلى الرفع من مكانة تلمسان وجعلها حاضرة كعبة تستقطب العلماء من كافة الحواضر الأخرى،وكان بلاطه زاخرا بالعلماء والأدباء على غرار فاس وتونس، ومما يشهد على حبه للعلم والعلماء، أمره ببناء مدرسة في تلمسان، وتنصيبه للعالمين أبي زيد وأبي موسى ابني الإمام كمدرسين لها، فأكرم أبو حمو موسى الأول مثواهما وسمى المدرسة باسميهما، وكان يكثر من مجالستها والإقتداء بهما، وممن شهر عهدئذ في ميدان الفقه والأدب أبو عبد الله محمد بن منصور بن علي القرشي التلمساني الذي اتخذه أبو حمو كاتبا في ديوان الرسائل

كما واصل ابنه أبو تاشفين (718-737هـ/1318-1337م) ، الاعتناء بالعلم و العلماء،وكان يحرص على حضور مجالس العلم والسماع إلى المدائح الدينية وبخاصة في مناسبات المولد النبوي الشريف ،فقد ذكر التنسي أنه كان محبا لأهل العلم

أما في الفترة التي كانت فيها تلمسان تحت الحصار المريني فقد سار سلطانها أبو الحسن المريني على نهج الملوك الزيانيين في تشجيع العلماء، حيث أمر ببناء مدرسة بقرية العباد سنة748هـ-1347م، كما دشن ابنه أبو العنان مدرسة أخرى بجانب مسجد الحلوي.

خلال عهد أبي حمو موسى الثاني بلغت الحركة العلمية منحى تصاعديا،والذي بدوره أعطى اهتماما وعناية خاصة للعلم وأهله،فكان هو نفسه من أهل العلم والمعرفة بفنون الأدب،وله تأليف في باب السياسة قال عنه أبو عبد الله التنسي"صنف كتابا سماه نظم السلوك في سياسة الملوك،وهو يعرف بعنوان" واسطة السلوك في سياسة الملوك"، وفي فترة حكمه برز العالم أبو عبد الله بن يحي، وكان من أول المدرسين بالمدرسة اليعقوبية،وللسلطان أبي حمو عدة قصائد شعرية خاصة التي تتعلق بمدح النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم، زد على ذلك أن معظم أفراد حاشيته(وزراء وحجاب وقواد) كانوا من أهل العلم والأدب.

كما واصل أبو زيان بن أبي حمو الثاني (796هـ-1374م) درب أجداده الزيانيين في الاهتمام بالعلم والعلماء، إذ بلغت الحركة العلمية على عهده مستوى راق، وذلك لكونه هو كان شغوفا محبا للعلم والأدب، يحسن الشعر والنثر كما اعتنى أبو زيان بالتأليف حيث خلف كتابا سماه "الإشارة في العلم بين النفس المطمئنة والنفس الأمارة"،كما نسخ بيده القرآن الكريم وصحيح

البخاري و كتاب الشفا بتعريف المصطفى للقاضي عياض،وحبّسها كلها في خزانته التي كانت تزخر بنفائس الكتب

كما أنّ حضرته لم تخلو من مناظرة ولا عمرت إلا بمذاكرة ومحاضرة، ففي أيامه بلغت تلمسان ذروة الازدها،وأصبحت مركز إشعاع ثقافي يضاهي بقية المراكز الثقافية الإسلامية.

هذا وقد سار ملوك بني زيان في القرن التاسع الهجري (15م)على نفس الوتيرة التي سار عليها أجدادهم في تقديس العلم والرفع من قيمة العلماء،رغم ما أصاب دولتهم من اضطرابات وأزمات سياسية

وكان السلطان أبو العباس أحمد العاقل(834هـ- 1430م) هو الآخر يجالس العلماء ويشجعهم على التصنيف، وبخاصة الولي الزاهد أبو علي بن مخلوف الذي كان يتردد عليه كثيرا لزيارته والأخذ برأيه فبنى هذا السلطان مدرسة بزاوية هذا الشيخ وأوقف عليها أوقافا جليلة

اما عن الازدهار في الجانب الاقتصادي والاجتماعي فقد نتج عن استقرار العنصر الأندلسي بالمغرب الأوسط تطور في الزراعة والتجارة والصناعة بقول المقري:" إن أهل الأندلس صينيون في إتقان الضائع العملية، وإحكام المهن الصورية "،

وتطورت الفلاحة وتجددت باستعمال أساليب وطرق زراعية متطورة في ضواحي مدينة تلمسان وخارج أسوارها، فأدخلت محاصيل زراعية لم تكن تجد العناية والاهتمام لدى الأهالي مثل زراعة أشجار التوت الأبيض والأسود بنواحي شرشال والأرز والقطن بجهات مستغانم بفضل الاندلسيين.

أما فيما يخص مختلف الصناعات المفيدة من طرز ونسج الحرير وحياكة القطن والكتان وغزل الصوف فتمكنوا من إقامة المشاغل، وإنشاء الورشات لمزاولة مختلف المهن والصناعات اليدوية كالحدادة والتجارة ومعالجة الخزف والجلد، وقد اشتهرت مدينة برشكبجودة إنتاجها للحرير.

كما كانت موجودة بعض الصناعات كصناعة الشاشية التي أصبح لها سوق خاص بها ، عرف بسوق الشواشي واشتهرت بصناعتها عائلة القلانسي، وكذلك صناعة الزرابي التي غلب عليها الطراز الأندلسي لاقتباس صناعتها من مدينة آلمرية المركز الرئيسي لصناعة

النسيج بمملكة بني نصر، كما يعود الفضل لهم أيضا في تطوير صناعة السلاح والبارود وصناعة السفن.

كان الفن العمراني التلمساني متأثرا بالفن المشرقي، ولكن عند وصول تيار الفن الأندلسي المغربي إليها أخذ يتفتح، ويعود الفضل في وصوله إلى المرابطين ثم الموحدين.

وقد ساعد على امتزاج الفن العمراني المغربي بالفن الأندلسي وجود صناع حذاق ذوي خبرة كبيرة في العمران من الجالية الأندلسية إلي استقرت في المغرب الأوسط منذ القرن (5هـ/ 626 م) واستمرت عملية الامتزاج نحو ثلاثة قرون اتخذ بعدها هذا الفن إطاره النهائي في عهد بني زيان، إذ تبوأ الأندلسيون بفضل ما أبدعوه المقام السامي في تاريخ الفن الإسلامي ولا سيما في عهدي أبي تاشفين وأبي حمو موسى الثاني فأصبحت تلمسان ببناياتها وحدائقها أشبه بإشبيلة وغرناطة في روائعها الفنية وطبيعتها الفتانة، أما عن قصورها فاستدعى أبو حمو الأول وابنه أبو تاشفين الصناع والبنائين من الأندلس لاختطاطها، فبعث له السلطان أبو الوليد بن الأحمر بمهرة البنائين، استجادوا له القصور والمنازل والبساتينومن أثارهم أيضا المساجد مثل مسجد سيدي أبي الحسن بن يخلف التنسي فهو مسجد صغير لكنه آية من آيات الفن، وكذلك قصر المشور الذي بناه يغمراسن فكل هذه المساجد والقصور والمدارس لشاهد قوي على رقي الحضارة الإسلامية التي توطدت معالمها بالمغرب الأوسط.

المحاضرة الثانية عشرة

-الدولة المرينية:

ا/التاريخ السياسي:

يرجع نسب بني مرين الى شعوب بني واسين المنتمين الى قبيلة زناتة ، وهم ورتاجن بن ماخوخ بن جديح بن فاتن بن يدر بن يخفتابن عبد الله بن ورتنيص بن المعز بن ابراهيم بن سجيك بن واسين وهم اخوة بني يلومي ومديونة ابتدأ امر ظهور بني مرين سنة 613هـ/1216م، ايام الامير الاول عبد الحق بن محيو ، ثم قامت الدولة بصفة نهائية سنة 616هـ/1219م ،في عهد عثمان بن عبد الحق ، الذي وافته المنية سنة 638هـ، ثم قام بامر بني مرين اخوه محمد بن عبد الحق فاتبع سنن اخيه في جعل المغرب تحت رايته، لكنه هلك على يد زعيم من زعماء الروم، بعدها تولى ابو بكر بن عبد الحق امر بني مرين.

لما ولي هذا الاخير امرهم سنة 642هـ قام بتقسيم بلاد المغرب وقبائل جبايته بين عشائر بني مرين ، وهو الذي افتتح مكناسة وطلب منهم ان يقدمو البيعة لابي زكريا بن ابي حفص صاحب افريقية ، كما عمل على فتح حصون ملوية ، وهو الذي جند الجنود وضرب الطبول ونشر البنود وملك الحصون والبلادفكان عنوان سعد بني مرين .

لم تكن دولة بني مرين الفتية لترضى بمجاورة بني عبد الواد المنافسين لها، وذلك بعدما رأت من المكانة التي يتبوأها السلطان يغمراسن في ميدان السياسة والحرب، فنشأ عن ذلك حقد وعدواة كان مبعثها المنافسة على رئاسة زناتة والسلطة المطلقة على المغرب الأوسط.

ففي سنة(647هـ/1249م)استولى الأمير أبو بكر على فاس، بعد هزيمة الموحدين بضواحي تلمسان أمام بني مرين، حينها استنجد الخليفة المرتضى بايغمراسن بن زيان واعد إياه بالتنازل له عن كل الأراضي التي يستولي عليها خلال زحفه على فاس، وهي الأراضي التي تملكها بني مرين.

لبى يغمراسن دعوة المرتضى وخرج من تلمسان في حشد كبير من قواته وقوات بني توجين وكافة القبائل من زناته، وإلتقى الجمعان في منطقة وادي ايسلي في ذي الحجة (647هـ/1250م)، بالقرب من وجدة، أين دارت بينهما معركة كبيرة وكان النصر حليف بنو مرين، وفَرَّ على أثرها يغمراسن تاركا محلته بما فيها نهبا وسلبا لبني مرين.

كان للتحالف الذي دعى يغمراسن إليه الخليفة الموحدي أبي دبوس سنة(665هـ/1267م) ضد بني مرين في قوله" إياك أن تطمع بني مرين فيما لديك، وأنا أكفيك شرهم"، سببا في

محاصرة جيوش الأمير أبو يوسف لعاصمة الموحدين مراكش وتشديد الخناق عليها، الأمر الذي أدى بالخليفة الموحدي طلب النجدة من يغمراسن، فهَمَّ هذا الأخير بشن غارات على الحدود الشرقية لبني مرين، الأمر الذي أدى بأبي يوسف إلى رفع الحصار مؤقتا واتجه صوب فاس أين جهز جيشا سنة(666هـ/1267م)، وإتجه نحو الأراضي التلمسانية والتقى الجمعان في منطقة وادي تلاغ، وتعد هذه الوقعة من أعنف المعارك بين الدولتين إذ قتل فيها أبو حفص عمر أكبر أولاد يغمراسن وولي عهده، بالإضافة إلى عدد كبير من خيرة رجاله ووجهاء عشيرته فكانت هذه الهزيمة ضربة قاسية لبني عبد الواد.

وفي سنة 668هـ/1269م استولى يعقوب بن عبد الحق على مدينة مراكش ، حيث انقرضت الدولة الموحدية، بعدها بدأ يتلقب بامير المسلمين ، بدل لقب الامير ،ثم واصل يعقوب الاستلاء على الجهات البعيدة والقريبة لبسط كامل نفوذه حتى اصبح المغرب الاقصى تحت سيطرته

وفي سنة(670هـ/1272م)، تجدد الصراع من جديد بعد رفض يغمراسن الصلح مع السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني. نتيجة لهذا الرفض ترك السلطان أبو يوسف يعقوب شأن الأندلس وسار نحو تلمسان لقتال يغمراسن فكان اللقاء في منطقة ايسلي قرب وجدة سنة(670هـ1272م) ، وطبعا انهزم فيها الزيانيون مرة أخرى وهرب يغمراسن من محلته بعدما أضرمت فيها النيران وقتل ولده أبو عنان فارس، وخلالها حطم المرينيون مدينة وجدة وتلمسان وأطلقوا الأيدي فيها بالسلب والنهب.

واستمر العداء والصراع بين الطرفين بشن السلطان يعقوب حصارا على تلمسان الذي"عاث في ساحتها نهبا وشنى الغارات في بسائطها فاكتسحها سبيا وسفها، وكان ذلك بدعم عبد القوي بن العباس بن عطية كبير بني توجين من زناته"

وبعد توالي الهزائم على يغمراسن من طرف بني مرين، تأكد أنه لا يمكن بأي حال من الأحوال مجابهتهم لعدم تكافؤ القوى فأوصى ولده عثمان بمسالمة بني مرين وعدم الإعتداء على أراضيهم.وعملا بوصية يغمراسن استهل عثمان فترة حكمه بمهادنة بني مرين، وتوجه لتأديب الإمارات الشرقية الموالية للحفصيين، وبني توجين ومغراوة.

لكن يعود تأزم العلاقات من جديد بين الدولتين على إثر حادثة وهي أن ابن أبي يعقوب يوسف يسمى أبا عامر كان واليا على مراكش فثار على أبيه يعقوب وظاهره في ذلك وزير يسمى بن عطو فسار إليه أبوه وأدبه وهزمه، فانتهب الأمير ووزيره مال مراكش وهم بالفرار إلى إمارة تلمسان يطلب الحماية من أبي سعيد عثمان بن يغمراسن سنة(688هـ/1289م)، فما كان منه إلا إكرامهما وأجار أبا عامر على أبيه، ثم عفي السلطان المريني عن ابنه وأعاده إلى فاس، بعدها طلب من السلطان أبي عثمان أن يسلمه الوزير ابن عطو، فرفض هذا الأخير مما أثار حفيظة السلطان المريني، خلالها قرر غزو تلمسان فأحتشد في ذلك القبائل وكافة أهل المغرب، وسار ينسف في نواحي تلمسان الأثار ويخرب العمران.

كما عاود محاصرتها سنة(698هـ/1298م)، ونصب عليها المجانيق، وقطع أشجارها وخرب ما حولها من القرى والزرع وكان هذا الحصار من أطول الحصارات على تلمسان إذ دام حوالي ثمانية أعوام وثلاثة أشهر

وفي سنة 728هـ/1328م في فترة ابي سعيد الاول ، ازدهرت الامارة واتسع النفوذ الى الجنوب معاقل الصحراء وقصور توات وتمنطيت ، كما توسعوا المرنيين خلال هذه الفترة خارج المغرب الاقصى خيث امتلك يعوب بالاندلس 53عقارا مابين مدن وحصون زيادة على القرى والبروج التي تزيد على 300، وكان الحد الفاصل بينه وبين مملكة بني الاحمر حصن ذكوان قرب مالقة.

وفي سنة(729هـ/1328) استولى الزيانيون على تونس فاستنجد الحفصيون بالمرنيين فبدؤوا المرنييون بسلسلة من الحملات العسكرية على حدود الدولة الزيانية ظاهرها مساعدة الحفصيين وحقيقتها السيطرة على المغرب الأوسط ثم على المغرب الإسلامي كله، فلما رفض الزيانيون الخروج من قسنطينة وجد بنو مرين ذلك فرصة للتدخل، فزحفوا نحو تلمسان سنة(735هـ /1335م)، وحاصروها وعمدوا إلى قطع عنصر هام وهو المياه، فاستولوا عليها وقتلوا أبا تاشفين سنة(737هـ/1337م)، وبذلك سيطر بنو مرين مرة أخرى على المغرب الأوسط لمدة زمنية زادت عن اثني عشرة سنة.

لم تهدأ الأوضاع في منطقة المغرب الأوسط كثيرا ففي سنة(750هـ/1349م) قام الأمير المريني أبو عنان بمساعدة الزيانيين في حربهم ضد والده أبي الحسن الذي كان بالجهة

الشرقية، وضد أخيه الناصر سنة(751هـ/1350م) لكن المرينين قاموا بعد انتصار أبي عنان على أبيه بمحاصرة تلمسان سنة(753هـ/1352م)، والاستيلاء عليها وقتل سلطانها أبي سعيد.

كما تم غزو إفريقية على فترتين: الأولى كانت من سنة(748هـ-1347م/750هـ-1349م)، خلال عهد السلطان أبي الحسن المريني، والثانية من سنة(753هـ-1352م/761هـ-1360م)، خلال عهد السلطان أبي العنان.

حاول المرينيون الإستيلاء على تلمسان أربع مرات في هجمات مكثفة ومتفرقة من سنة(760-774هـ/1372م-1359م)، وكانت سنة (768-774هـ) هي الأطول زمنيا، وتمكن السلطان المريني عبد العزيز من احتلالها والهيمنة على المغرب الأوسط الذي أصابه خلال هذه الفترة ضيقا شديدا.

أصبحت الدولة المرينية تتدخل مباشرة في شؤون البيت الزياني تطيح بمن تشاء وتولي من تشاء على تلمسان، فكثرت خلالها الفوضى السياسية والفتن الداخلية التي أفقدتها الكثير من أقاليمها وصارت تحت نفوذ القبائل المعادية لها، وتدخل المرينين في شؤون المغرب الأوسط ظلَّ قائما، وصار بنو زيان لعبة في يد المرينين يسيطرون عليهم بالترهيب حينا وبالترغيب أحيانا، فأضعفوا كيان الدولة وكسروا شوكتها بهذا التدخل المستمر. كما إعترى بنو مرين الضعف جراء التكاليف الباهظة التي كانت تسخرها للحملات العسكرية المتكررة ضد بني زيان وبني حفص، إضافة إلى الفتن الداخلية وكذا غارات القبائل المجاورة لها بين الحين والآخر مما كان لها نفس المصير إذ تولى أمر حكمهم بنو وطاس(875-957هـ/1470-1550م).

ب/ التاريخ الحضاري:

اتسم الحكم في العصر المريني بالفردية والوراثية،واتخذ الحكام المرنيين لقب امير المسلمين واتبعوه بالقاب اخرى لاتقل اهمية عنهمثل: الناصر لله، المستنصر، او ملك البحرين، او امير المؤمنين

كما اتخذ سلاين بنو مرين شارات معينة اهمها: اتحاذ الآلة ، كنشر الالوية والرايات وقرع الطبول خلال خروجالسلطان في المواكب، وشملت الآلة السيوف والخيل ، كما قاموا بصك السكة وهي الختم على النقود الذهبية والفضية باسترادهم تلك المعادن من السودان، ومن المدن التي كانت تضرب السكة بها نذكر: سجلماسة، مراكش، المنصورة بتلمسان، كما اولو الاهتمام للموازيين والمكاييل، ومن الخطط السلطانية التي اعطوها اهمية كبيرة هي الخاتم اي الختم على الرسائل والصكوك بواسطة خاتم يوضع في الاصبع من الذهب ومرصع بالياقوت والزمرد والفيروز يلبسه السلان كشارة من شارات الملك وكان الحكام انفسهم من يشرفون على تسيير شؤون الرعية خوفا من اي انزلاق ، بالتشاور مع مجموعة من المستشارين كالوزير وصاحب الشرطة، وولي العهد، اما عن الجيش فقد استطاع المرينيون تنظيم جيشهم وجعل منه مؤسسة عسكرية قائمة بذاتها

واهتموا بالاسطول البحري وكان اولهم السلان يعقوب بن عبد الحق 656هـ-685هـ الذي امر ببناء دار صناعو السفن بسلا، وبتطوان وكذلك ابو الحسن المريني الذي اهتم بصناعة السفن حيث بلغت سفنه اضعاف مالدى النصارى ، كما بنى الابراج والمحارس اما من الناحية الاقتصادية فقد استفاد المرينيون من حالة الاستقرار الامني الذي ساد البلاد ، فازدهرت الحياة وعم الرخاء ، فعلى الصعيد التجاري ادت الموانئ دورا هاما في عمليات الاسترداد والتصدير مثل ميناء سبتة، فضلا عن دور المدارس فيتسهيل حركة التجارة الداخلية والخارجية مثل: مرسى آنفا، ونجة، وسجلماسة التي كانوا يدخلون منها الملح والودع والنحاس ويرجعون بالذهب، كما قاموا بتصدير كل من الصوف ، الغنم، الحيل، الجلود، الاحزمة، القن، الشمع،

اما الاسترداد فقد استوردوا الاقمشة من تونس ، الاسكندرية الاندلس، كما لعبت قوافل الحج دورا بارزا في التجارة.، كما تطورت الصناعة مع تطور العمران، وتوفر المادة الاولية ، واشتهرت زراعة الكتان والسكر والقمح والغلال، والفواكه المثمرة

عمل المرينيون على تنشيط وتشجيع الحركة العمرانية في كافة ربوع البلاد فظهرت عدة مدن اثناء حكمهم منها: فاس الجديدة، دار الضرب، قبة الرضا، الجامع الكبير، مدينة تلمسان الجديدة، تطاوين، ، اما من الناحية العلمية فقد اضحت دولة بني مرين خلال هده الفترة ملاذا لكثير من المسلمين الذين هاجروا من الاندلس فرارا من الزحف الصليبي.

عملوا السلاطين المرينيين على دعم مؤسسات التعليم ، فشيدوا المدارس واختطوا الزوايا، واهتموا بالعلم واهله، فقربوا العلماء اليهم وادخلوهم لمجالسهم وناظاروهم، ومن بين العلماء الذين برزوا خلال هذه الفترة نذكر: ابن عذارى المراكشي، ابن البناء، ابن ابي زرع الفاسي، ابن بطوطة، اما المدارس التي انشهرت نذكر: مدرسة فاس الجديد، مدرسة الصهريج، مدرسة العطارين، البوعنانية

المحاضرة الثالثة عشرة

- الأندلس:

ا/التاريخ السياسي:

الأندلس: يقال بضم الدال و فتحها،وهي كلمة أعجمية لم تستعملها العرب في القديم،وإنما ظهرت خلال فترة الإسلام، تنسب إلى أول قوم سكنوها يعرفون بالأندلش معجمة الشين و

عرّب فيما بعد بالسين غير المعجمة، بن يافث و بين اسم القبيلة الجرمانية الفندال، ويذهب في قوله أن اسم أندلس مشتق من فنداليشيا، في حين يقال أن الأندلس هو الاسم العربي لشبه الجزيرة الأيبيرية، ويرى أن هناك صلة بين اسم أندلس بن طوبال بن يافث وبين إسم القبيلة الجرمانية الفندال ويقال أن إسم أندلس مشتق من فنداليشيا،وانفرد ابن الأثير بأن النصارى يسمون الأندلس بإشبانية نسبة إلى رجل من القوط يقال له إشبانس، و قيل باسم ملك كان بها في الزمان الأول اسمه إشبان بن طيطس وهذا هو اسمها عند بطليموس ،وعليه فالملاحظ أن كلمة الأندلس اشتقتها العرب من كلمة واندلوس وهي اسم لإحدى القبائل الجرمانية مثل الآلان، السويق، الوندال، القوط الشرقيين القوط الغربيين الأنجلوساكسون ثم عربت هذه الكلمة أثناء الفتح الإسلامي للأندلس أو الأندليش والأندلس شكل مثلث تحيط به المياه من أركانه الثلاث فمن الجنوب يحدها البحر المتوسط ومن الغرب البحر المحيط ويفصلها عن فرنسا سلسلة جبال البرت، ولا يفصلها عن السواحل الشمالية للمغرب سوى بحر الزقاق أو مضيق جبل طارق الذي يقع جنوب اسبانيا ، او يسمى جبل الفتح وكان يسمى قديما باعمدة هرقل Columnas de Hereulesنسبة الى الجبال المحيطة به وعند الفتح سمي باسم مضيق المجاز او البحر الزقاقي.

للاندلس ثلاثة اركان على شكل المثلث:

الركن الاول: هو الموضع الدي فيه صنم قادس المشهور في الاندلس وعنده مخرج للبحر المتوسط

الركن الثاني: هو بشرقي الاندلس بين مدينة اربونة ومدينة برديل

الركن الثالث: مابين الجوف والغرب من حيز جلقية اما عن الاحوال السياسية فقد كانت الجزيرة الايبيرية جزءا لايتجزأ من الامبراطورية الرومانية، ونتيجة لضعف الدولة الرومانية الغربية تعرضت لاجتياح القبائل الجرمانية في موجات متتابعة، التي استولت على املاك الرومان ، ويعتبر القوط احدى هده الفقبائل الجرمانية الشرقية ،التي نزحت من اروبا بسبب قلة الانتاج الزراعي، او بسبب التمدن الحضاري الدي شهدته الامبراطورية الررومانية.

جاء الفتح الاسلامي للاندلس كنتيجة حتمية لاستكمال المسلمين فتح بلاد المغرب الاسلامين ولقربها من العدوة المغربية، ونظرا للاوضاع المتدنية التي شهدتها شبة الجزيرة الايبيرية في اواخر العهد القوطي، هاذا ما ساهم في تطلع المسلمين لغزوها واعلاء كلمة الله بها.

العوامل الممهدة للفتح:

-اتساع الفتوحات في بلاد المشرق و المغرب حتى وصولهم الى المضيق الفاصل بين المغرب وشبه الجزيرة الايبيرية ففكروا في اجتيازه -توتر نظام الحكم في شبه الجزيرة .

-الخلاف والنزاع الااي كان بين حاكم سبتة يليان الموالي للملكالسابق غيطشة وبين الملك الجديد لدريق.

ومن الاسباب الممهدة هي اقبال اولاد الملك المخلوع غيطشة ، على طلب يد المساعدة من المسلمين.

ويرى البعض ان سبب فتح الاندلس يرجع الى وازع الانتقام الشخصي المتعلق باغتصاب الملك لذريق لفلورندا ابنة يليان حاكم سبتة.

بعد ذكر الاسباب التي مهدت للمسلمين فتح شبه الجزيرة الايبيرية يتضح ان ذلك لم يكن مغامرة بل كان فتحا مدروسا وفق خطة منظمة

- مراحل الحكم في الاندلس:

***عصر الولاة/ 95-138هـ:**

تعاقب على الحكم خلال هذه الفترة 22واليا كان اولهم عبد العزيز بن موسى الذي استخلفه والده موسى بن نصير عقب خروجه في 95هـ ، لكن لم يبق على الولاية الا قليلا حتى تم قتله عام 97هـ بعدها اجتمع اهل الاندلس على تولية ايوب بن حبيب اللخمي مكان عبد العزيز، دامت ولايته 6اشهر وخلالها تم نقل العاصمة من اشبيلية الى قرطبة، تولى بعده الولاية الحر بن عبد الرحمن الثقفي بتعيين من محمد بن يزيد والي افريقية، كانت ولايته سنتين وثمانية اشهر،ولم تذكر المصادر شيئا عنه سوى ابنائه لقصر قرطبة واختطاطه اياها، وفي هذه الفترة

توفي الخليفة سليمان بن عبد الملك سنة99هـ وبداية عهد جديد بتولي الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز لسدة الحكم

تم تعيين السمح بن مالك الخولاني من قبل الخليفة واليا على الاندلس، وذلك لنزاهته،وشدة ايمانه، قام بسلسة من الفتوحات في غالة ، اين استشهد بها في معركة حاسمة بينه وبين الدوق ايكتانية سنة 102هـ

بعدها قدموا اهل الاندلس على انفسهم عبد الرحمن الغافقي ، وفي سنة 103هـ ولي يزيد بن ابي مسلم عامل افريقية على الاندلس عنبسة بن سحيم وكانت ولايته 4 سنوات، بعدها ولي كل من يحي بن سلمة الكلبي و حذيفة بن الاحوص،وعثمان بن ابي نسعة والهيثم بن عبيد الكناني ومحمد بن عبد الله الاشجعي و عبد الملك بن قطن الفهري وولاية عقبة بن الحجاج ثم ولاية يوسف بن عبد الرحمن الفهري

وربما وجدت ظروف عرفتها الاندلس جعلت الولاة المتاخرين ينصرفون عن الفتوح، مما اتاح للنصارى السيطرة على المناطق التي تم فتحها من قبل المسلمين وبذلك ينتهي عصر الولاة في الاندلس، متزامنا مع سقوط الخلافة الاموية بالمشرق عام 132هـ.

***عصر الامارة 138-316هـ:**

بعد المجزرة التي قام بها العباسيون تحاه الامويين عند الاطاحة بخلافتهم سنة 132هـ ردا وانتقاما لاهاليهم الذين ماتوا في كربلاء وغيرها، كانت الغاية من ذلك التخلص من بني امية عن آخرهم ، لكن الله مكن لاحد الفتيان الفرار من بطشهم وهو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام الذي فر الى افريقية، اين اختبأ عند اخواله من البربر، ومن هناك فر الى الاندلس

استطاع هذا الفتى ان يأسس امارة سنة 138هـ بمساعدة الانصار الامويين ،قاد عبد الرحمن انصاره من فوز الى فوز حتى تغلب على اخر معقل للولاة "يوسف الفهري"، فاصبحت الاندلس ومن جديد تحت راية الامويين وتربع على عرشها واكتفى بلقب الامير، وجه معظم اهتمامه لمنطقة الثغور حيث قام باصلاح ثغور الاندلس وبناء اسوار مدنها وحصونها، قضى على زعماء الفتنة واستقدم منهم الى قرطبة التي جعلها قاعدة حكمه ، كل من اطلع له على سوء سريرة وشبهة في الثغر

وسار من جاء بعده على سياسته ، فحافظوا على كل مكتسباتهم وثغورهم ، ففي عهد الامير الحكم 180-206هـ برزت اضطرابات وفتن بين النصارى والمسلمين والتي استمرت سبع سنوات ، وفيها تعرضوا المسلمين الى السبي والقتل الا ان الجيوش الاسلامية كانت لهم كذلك بالمرصاد.واشهر الامراء بعد المؤسس هو عبد الرحمن الاوسط 206-238هـ الذي واجه الممالك النصرانية بكل شراسة حتى قضى عليهم، ومن الثورات ثورة الربض 202هـ.

***عصر الخلافة بالاندلس: 316-422هـ:**

استطاع عبد الرحمن الناصر ان يقضي على اعداء الوحدة في داحل اسبانيا فاجتمع شمل المسلمين تحت لوائه واصبحوا يشكلون قوة كبرى كان لها اكبر الاثر في بث الرعب في نفوس نصارى اسبانيا المسيحية.

لما تولى العرش عبد الرحمن الناصر قضى على الفتن الداخلية وقهر شر الممالك النصرانية في الشمال، واعلن نفسه خليفة للمسلمين بعد ان كانت امارة، ليتساوى مع الخليفنين في بغداد وفي افريقية

يعتبر عهده من ازهى العصور في الاندلس، فقد عم الرخاء ، كان متميزا عن الخلفاء السابقين في نظرته لاصل سلطانه ومنبت سيادته، فهو في اصراره على حصد كل السلطات بين يديه وكان سعيه الدائم لجعل اسبانيا اسلامية تدار شؤونها من دار الخلافة في قرطبة ذات حكم مركزي قوي لايبقي مجالا لثائر او طامع في سلطان الدولة.

أقام الناصر لدين الله علاقات طيبة في مناطق عدة من المغارب الثلاثة واقام صلات وطيدة مع القبائل البربرية كقبال مغراوة ، كل ذلك اثمر عن نهضة اقتصادية وعمرانية، ما عرفت الاندلس مثلها، حيث ازدهرت خلال هذه الفترة كل من التجارة والزراعة والصناعة ، وكان لذلك نتائج ايجابية على خزانة الدولة في قرطبة فامتلئت بالاموال ، الامر الذي انعكس ايجابيا على الرعية ، فساد الثراء والرفاهية داخل المجتمع الاندلسي، ومن الخلفاء الذين تداولو على الخلافة نذكر: عبد الرخمن الثالث الناصر ، الحكم المسنصر بالله(350هـ) ،هشام الثاني المؤيد بالله(366هـ)، الي كان ولدا صغيرا وامه جارية اسبانية تدعى صبح، هي نفسها كانت اسيرة مصالح بعض الرجال الحكم، وخاصة الحاجب جعفر بن عثمان المصحفي

وصديقها ابن عامر صاحب الشرطة ، فساعدته على زحزحة ولي نعمته المصحفي، ولما تولى ابن ابي عامر الحجابة شرع عن طريق الحيلة والخديعة بالتخلص من خصومه بالقتل والابعاد حتى استبد بالحكم، بعدهاضرع في تاسيس مدينة خاصة به على مثال مدينة الزهراء التي بناها الناصر فجعلها على ضفاف نهر الوادي واسماها المدينة الزهراء واقام فيها دارا لسكناه ومقرا لحكمه ومراكز للوزراء والقادة والموظفين ، وصار فيه اشبه ما يكون بامير الامراء في بغداد ، ذلك ان ابن هامر استاثر منذ ذلك الوقت لنفسه بكل سلطان الخليفة وماعاد حتى يكلف نفسه عناء استشارته واطلاعه على امور الدولة، قام بحجبه عن الرعية ، وجعل عليه حراسا يلازمونه ليلا نهارا ، وبالتالياستبد بالخلافة وحكم البلاد بالقوة الا انه حقق انتصارات كبيرة على النصارى في الشمال، بعدها تولى الحجابة ابنه عبد الملك ثم اخوه عبد الرحمن ، وهكذا عمت الفوضى على الحكم الاموي بالاندلس .